سبا الثقافية

شهرية ثقافية فنية

SiBA
الكلمة الصادقة لا تحتاج إلى الزخرفة

العدد 45
سبا الثقافية
01 / 04 / 2021

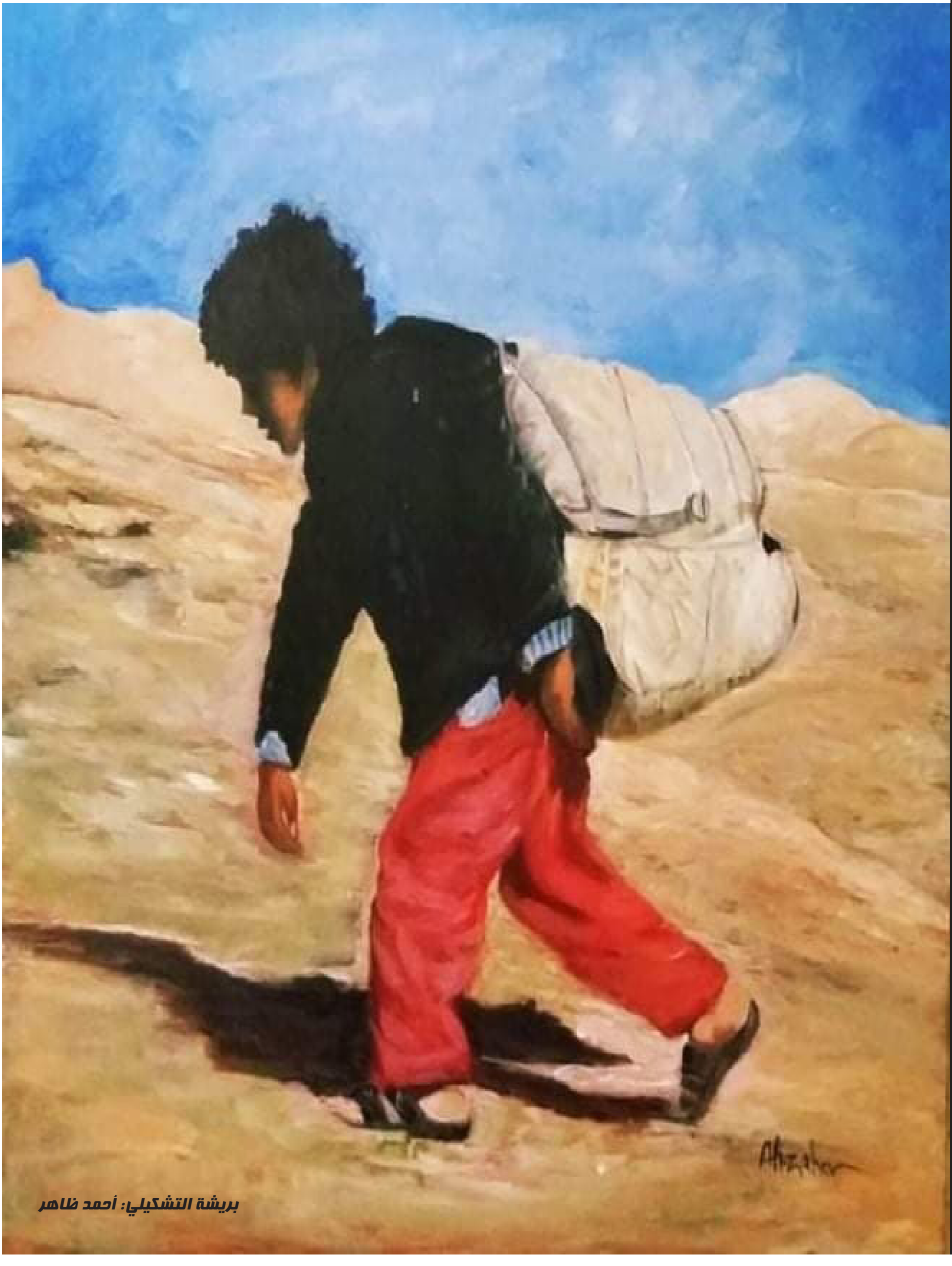

بريشة التشكيلي: أحمد ظاهر

لنا كلمة

القراءة غذاء النفوس وطب العقول

هل أصبحت عادة القراءة والمطالعة عبئاً ثقيلاً بعد أن غزا الانترنت جميع مجالات الحياة؟ هل بات شغف ارْتداد المكتبات العامة موضة قديمة؟ هل ستستقيل المكتبات يوماً عن عملها وتتحول متاحف في زمن العزوف عن القراءة وضمور هاجس المعرفة؟

عندما ننظر في سرعة إيقاع العصر يتراءى لنا مشاهد مأساوية، بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة بزغت أدوت جديدة للثقافة تحت هيمنت التكنولوجيا والثقافة الافتراضية، فتكدست الكتب على رفوف المكتبات تعاني من وطأة غبارها لدرجة أن المكتبة أصبحت نوعاً من الديكور المنزلي في بعض البيوت الفاخرة، لقد انعدمت عادة القراءة والمطالعة فينا، فباتت مظاهر القراءة في الساحات العامة والحدائق وعلى الشواطئ وفي وسائل النقل ظاهرة قديمة وخاصة وسط فئة الشابة بعد توجههم لاقتناء أجهزة رقمية وإدمانهم على الألعاب ومواقع التواصل الاجتماعي، انعدام دور الأسرة في إرشادهم وكذلك المدرسة التي كانت بالأمس لها الدور الفاعل في زرع بذرة حب الكتاب والمطالعة اختزلت دورها في توجيه الناشئة نحو أنشطة تحفزهم في الحصول على علامات مدرسية لتحصيلهم الدراسي فابتعدت برامجهم المشجعة على تنمية القراءة كفعل واع وذاتي ونقدي وتعليمي، لقد عجزت الدولة في ترجمة سلوك القراءة الفردي وتوطينها في الفكر الجمعي، فأصبحنا مجتمع سطحي نحاصر بنظرات غير مشجعة لفعل القراءة والأكثر من ذلك غياب أمكنة وفضاءات خاصة بالقراءة، في المقابل نجد الدول المتقدمة ثقافياً تشجع القراءة وتقدم جميع السبل من اجل ارتقاء مجتمعها ثقافياً، معززة بذلك سلوك القراءة منذ الصغر، فهي تخلق لدى الطفل حساً عالياً من النباهة والفطنة وقوة التركيز، وتقوم بنشاطات كثيرة كالقراءة في مترو الأنفاق، والقراءة في الشارع من خلال مبادرات لإنشاء مكتبات صغيرة مجانية على أرصفة الشوارع لتبادل الكتب بين المارة...

القراءة هي أساس الحرية الفكرية والثقافية والسياسية، ويستحيل بناء فرد حر من دون تمكينه من القراءة وسبل الوصول إلى المعرفة والعلم، كما يتعذر صناعة حاضر المجتمع ومستقبله فهي الذاكرة الحضارية ضد النسيان.
الإنسان لا ينمو فقط باحتياجاته الأساسية العضوية من الطعام والماء والهواء... فثمة حاجة ملحّة وضرورية لتغذية العقل والفكر بفعل القراءة، حيث كتب الفراعنة قديماً على جدران أول مكتبة تم أنشاؤها «هذا غذاء النفوس وطب العقول».
فكم كان جميلاً لو انتشر وباء القراءة بدلاً من وباء كورونا! ومرض حمل الكتاب عوضاً عن الموبايل!

نعم بالقراءة نرتقي ونحيا أكثر من حياة، فهي تعزز مكتسباتنا وخبراتنا وتفتح أمامنا آفاق المعرفة والعلم، فهي ضياء الفكر ومؤشر وعي ودليل حضارة ولغة عقول وغذاء لازم لحياة المجتمعات.

ترى سبا بأن جميع الوسائل الحديثة لا تعيق من حركة القراءة ولا تقلل من قيمتها وأهميتها بل تزيدها ثراء ومعرفة، فالكتاب لن يموت ولن يندثر وهو مكمل لكل ألوان المعرفة اللامحدودة في عصرنا الذي يُقدم للمطالعة، فالأدوات والتقنيات المستخدمة حديثاً من السمعية والبصرية جامدة وجافة كوجبات الطعام الجاهزة والسريعة، بينما نجد المتعة الحقيقية في البحث والقراءة، فعندما نلامس أفكار أي كاتب من خلاصة أفكاره وعصارة إبداعه فإننا نشعر بالنشوة الحقيقية، فشتان ما بين عطاء رجل ذي عقل نير وبين آلة بلا روح.
القراءة فالقراءة؛ لتكريس وجودنا في البحث عن الحقيقة، وهي الوظيفة الحيوية كالتنفس، فاقرأ طالما ينبض قلبك بالحياة.

هيئة التحرير

تقرؤون في هذا العدد:

علي أبو الريش لجريدة سبا
لا يسكنني إلا امرأة واحدة وجلفار المكان القابض على جمرة القلب

يوم ماطر
صالح حبش

كيمياء الغياب
حنين الصايغ

أزمة اللايك
إدريس سالم

خريفية حَمقاء
عدنان شيخي

المواد المنشورة في الجريدة تعبر عن آراء كاتبيها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

لمراسلتنا أو إرسال موادكم:
sibakenu@hotmail.com

علي أبو الريش لجريدة «سبا»: لا يسكنني إلا امرأة واحدة، وجلفار المكان القابض على جمرة القلب.

حاورته: فاتن حمودي

غالباً ما تشكل ذاكرة المكان عند كثير من الأدباء والأعلام محطات جديدة تضاف إلى دهشة الطفولة وبيت الوعي الأول، هكذا تحضر جلفار عند الروائي علي أبو الريش مضافاً إليها الصحراء – البحر وجلفار، فيشكل المكان البطل الأول عنده كأنه يستدرج ماء الذاكرة إلى أحضان الحبّ والعشق، حتى تتحول (رأس الخيمة) إلى كوكب بكامله، و(المعيريض) إلى أرض الغواية والغرام.

يستدرج الذاكرة، ناظراً إلى الزمن على أنه كائن حي يتعامل معه كما يتعامل مع أيّ كائن يؤثر فينا ونؤثر فيه، ودائماً يمضي بذاكرته إلى القرية كأن المدن بلا ذاكرة ولا خيال، فيأتي الماضي عبر شخصيات كأنها قادمة من عالم فانتازي يقترب من عالم (ماركيز)، ونسأل ما الذي يحمله هذا الكاتب من عالم البحار وروائحها، ومن الأمكنة الأولى، وما الذي تمثله له الرحلة والسفر في المخيلة، فالعلاقة مع البحر كما العلاقة مع المرأة في حالة مجاسدة وروح معاً (أيتها الأرض كم أنت طيبة، وكلهم أنذال!)، حتى ليبدو علي أبو الريش كأنه الحوذي الذي يجرجر أمكنته الأولى إلى منصاته، وكأنه القطار الذي يدور ويدور وما زال يدوزن روحه ويرتب بيتها الأول من أجل تأقلم صعب مع المدن، لهذا فهو يرى نفسه منفصلاً عن هذا الواقع نتيجة التغيرات يقول: «لا بد أن أربط هذه السلسلة التاريخية بما مضى، حتى أستطيع أن ألحق بهذا القطار السريع»، وحول ذاكرة المكان والمرجعيات الثقافية والرواية، كان لجريدة «سبا» هذا الحوار المفتوح على التجربة والحياة.

• **ما الذي يعنيه لك المكان من خلال علاقتك مع الذاكرة التي تحملها إلى النص؟**

هناك فرق بين أن تسكن المكان أو يسكنك المكان، وأن تسكن المكان فهو جائز في أيّ تضاريس جغرافية من هذا الكون، ولكن لا يسكنك إلا مكان واحد كما أنه لا تسكنك إلا امرأة واحدة، فالمكان حبل سري مرتبط بالذاكرة واللاشعور لدى الفرد رغم أنّ كثيراً من الناس يعتقدون أن المكان مجرد شارع وجدار ورمل، إنما الأمر عكس ذلك بكثير، فالمكان يعني الصرخة الأولى عند خروج الإنسان من رحم الكون، وتدفق ذلك الضياء القادم عن بعد متجهاً نحو حيز صغير أشبه بالومضة وهو الأنا، أتصور أن المكان الحقيقي بالنسبة للإنسان هو المكان الداخلي، هو الصوت الداخلي، هو البرلمان الداخلي، هو الخلايا التي تعيش في الدم.

• **إذاً كيف تقرأ المكان الأول بعين طفل مشدود باتجاه الفن والإبداع؟ وهل استطعت أن تغادر أمكنة طفولتك أو تغادرك؟**

بالنسبة لي وخلال هذه العقود من الزمن، حيث طرأت تطورات وتغيرات في الزمان والمكان الخارجيين، ولكن تبقى (جلفار) المكان المعشعش القابض على جمرة القلب، فهناك كما أتصور علاقة ثلاثية لا يمكن أن يفك ارتباطها (المرأة – الأرض – البحر)، هذا الثلاثي استطاع في وعي من الزمن أن يصبغ كائناً ما يعيش على هذه الأرض ويرضع من حنين بحرها ويتمازج مع ملح امرأة بقيت في الوجدان وكأنها الدماء التي تسير في الشريان.

• **أي امرأة هذه التي استطاعت أن تثبت للآخر، لك أنها الكون بأسره؟**

في اعتقادي أن المرأة لا تعني فقط المرأة التي تتعاطى معها الرجل بشكل طبيعي، فأنا هنا أتحدث عن الأنثى وكلّ شيءٍ له علاقة بتأنيث (جدير بالخلق والإبداع وصياغة وجه العالم، وجدير أن يكون هو المحور وهو المرتكز).
بدأت طفولة ذات علاقة اجتماعية ممتدة أفقياً هذه العلاقة شكلت في نفسي بنياناً رصيناً وحميماً باتجاه الأنثى، فالأم التي تربي هذا الكائن بين يديها كانت بمستوى الأرض الخصبة، والبحر المعطاء لذلك أتصور أن مثل هذه العلاقة في ذلك الزمن قد لا تتكرر في أزمان قادمة، فقد عشت طفولة متعبة ومؤلمة لكنها لذيذة، فالحرمان كان في كل شيء إلا من الحنان، لذلك تبقى الأطر المادية ومراياها وزواياها قابلة للرفض في أية لحظة عدا الحب، الحبّ كائنٌ يعيشُ داخلي كما تعيش الرواية في دمي، (معيريض) هذه القرية أشبهها بكوكب ذخر بالحشر والنشر في يوم ما، إلا أنها فقدت هذا الضجيج في غفلة عن الزمن والآخر، لكنّ عين المحب تبقى في حالة يقظة ومتابعة لتفاصيل النبضات من خلال الجدران المنهكة والأشجار المتباعدة، والبحر الذي يصرخ لينقذ أسماكه من الاختناق.

• **الشباب الأول افتراق وتأكيد وجود، عين قلقة تحاول خلخلة الأشياء، هل لك أن تحدثنا عن انطلاقتك إلى عالم الدراسة، وتلقي الثقافة؟ وما هي مرجعياتك الثقافية التي تفتخر بها؟**

المكان هو الكتاب الأول، لم يستفزني شيء أكثر مما يستفزني ضجيج الصمت في (معيريض) ولم يقلقني شيء مثلما تقلقني امرأة عجوز لا تزال تسير على الرمل حافية القدمين، لذلك أعتقد أن (معيريض) هي ملحمة روائية في حد ذاتها، وأزقتها شخوص تتحدث عن الذي كان، وجدرانها ثيمة هذه الرواية، فمنذ أن تفتحت القريحة شعرت أن هناك علاقة ما بين الرواية ومعيريض لذلك فأنا أصر وأتحدى كل المنظرين والمفكرين والمؤدلجين، لأقول إن الرواية بنت القرية، وما المدينة سوى ذلك المسخ الذي شوّه بداخلنا ملامح هذا الكون وأشياء أخرى، إذاً المرجعية الأولى لي هي المكان، بعد ذلك تأتي القراءات فلم يكن هناك وسائل أخرى لمعرفة هذا العالم سوى القراءة، قرأت لنجيب محفوظ وحنّا مينة، وقرأت كتباً في مجال الفلسفة خاصة الوجودية، ومسرح العبث، قرأت (صموئيل بيكيت في انتظار غودو) إضافةً

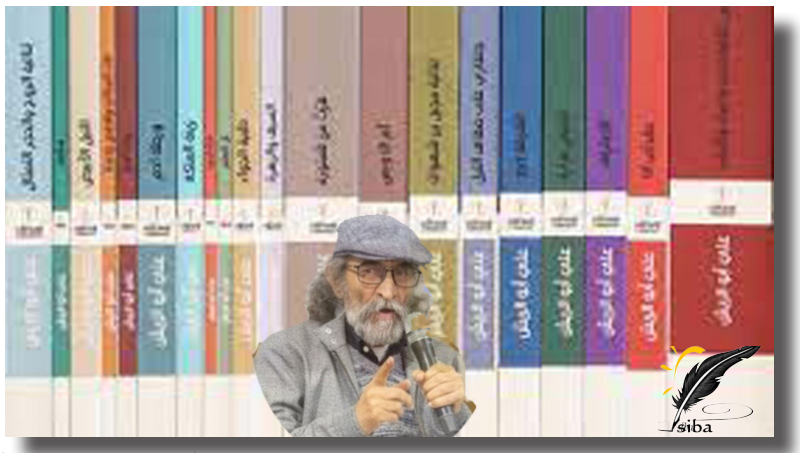

إلى جانب دراستي في القاهرة، وتخصصي في جامعة عين شمس (علم النفس)، فقد عشت في فترة السبعينات، حيث كانت القاهرة وعاءً يضم كلَّ ألوان الطيف من ثقافة وفكر وسياسة ففي أي كشك يوجد كتب، لهذا فقد قرأت كتب نوال السعداوي وأنا معها قلباً وقالباً.

نتشكل من الهواء والماء ورمل المكان، من القراءات، والتي تُشكّلني، أنا الذي لم أهمل لحظة قراءة الصمت والضجيج وموج البحر، وصوت الرمل والغناء، وهمهمات البحارة، ولم أهمل القص الشفاهي، لأنني أعتبره مرتبطاً ارتباطاً قوياً بالعمل الروائي وببعد تكويني الشخصي، بما يحمله من دلالات وخيالات، ومن سماته الأساسية الطبيعية التي تخلق الأسطورة والخرافة، فنصل من خلال الخرافة إلى حقائق كثيرة عن هذا الكون.

• **الأدب (الرواية – الشعر – المسرح)، حدثنا عن بداية علاقتك مع الكتابة.**

أنا لست بشاعر، وربما يعود الشعر إلى ثقافة الإنسان هنا، أما بالنسبة للرواية فلم أمضِ إليها نتيجة تشجيع، لأن المحبطات كثيرة منذ الطفولة إلى يوم يبعثون، لا يوجد شيء في هذا الكون يستطيع أن يجفف منابع الإبداع، فالإنسان يستطيع أن يكتب حتى ولو كان نائماً على جنبه، إنني أتصور عقل الإنسان أشبه باستوديو تصوير كامل فيه السيناريست والمخرج والمنتج والممثل فكيف يخرج الحلم؟ يخرج نتيجة وجود فكرة غير قابلة للتطبيق على حيز الواقع.

• **تجارب السفر تدخل في الخبرات والتزود للفن ماذا عن أسفارك؟ وما الذي يعنيه لك السفر تحديداً؟**

السفر الحقيقي هو السفر الداخلي والتضاريس الجغرافية الموجودة على الأرض موجودة داخل الإنسان، أعتقد أن الإنسان يولد وخارطة الكون موجودة داخله، نسافر في الخيال، في القراءة، في الفن في السينما.
تجربتي مع السفر، فقد سافرت إلى دول عربية فقط، ولم أسافر إلى أوروبا أو الغرب، عشت في مصر خمس سنوات، وبنيت علاقات إنسانية جميلة وحميمة مع ناس القاع، لذلك حملت من مصر الإنسان البسيط الذي لا يتجاوز تفكيره حدود قوته اليومي.

• **إلى أي حدٍّ يشكلُ هؤلاء المهمشين اجتماعياً عصباً في الرواية؟ وماذا تعني لك الرواية؟**

الرواية هي السؤال الدائم وملح الحياة، وهؤلاء هم الذين يحملون الأسئلة، ولا يملكون الإجابة، لأن العمل الإبداعي أمل لا يقبل الجاهزية ولا الاستهلاكية، فالسؤال الكبير بحجم هذه الخارطة هو هؤلاء الذين يفترشون الطريق، لهذا فأنا أتعايش مع هؤلاء، أستمع إلى أسئلتهم وأبحث عنهم، فتراني أتسرب إليهم في جلساتهم البسيطة، هكذا كنت في مصر أنزل صباحاً عند البواب فأراه يتدفأ على الحطب، يشرب الشاي، ويأكل الكُشري، ولا يفكر لا بتفنيش ولا بأي شيء، لأنه حسم قضيته وهكذا الشغالة، والبائع المتجوّل. هؤلاء من أروع ما يكون، المهمشون هم ملح الرواية عندي.

• **الشخصيات الروائية المهمشة عندك تذكر بأبطال روايات زوسكيند (العطر) و(الحمامة)، وبالتالي تعطي بعداً تغريبياً في جنوحها الاجتماعي – عزلتها وانطلاقتها نحو الحرية، ما الذي جعلك تستحضر تلك الشخصيات (حمزة المشعوذ – عبد الرحمن السبلمة و(الشاذ))؟ وما الذي يعنيه لك صوت الجنون؟**

في نظري أن المجنون هو العاقل الوحيد في هذا العالم، والذي رفض القوالب والأطر، وهذا يندرج طبعاً في العبقرية، أن ينتصر الإنسان على نفسه أولاً وعلى الآخر ثانياً، وأن يحقق استقلاليته ومشروعيته في الوجود، وإذا كنا نعتقد أن العالم يجب أن يكون ضمن أطر واحدة مستنسخة، فلماذا كلّ هذه المليارات من البشر لنكتفِ بشخص واحد وانتهينا، لهذا اخترت في روايتي (مجبل بن شهوان) هذه الشخوص التي تعود إلى المكان والبيئة والتي يعتبرها الآخرون نافذة شاذة، لأنني على يقين من أنها شخصيات تستحق الوقوف أمامها بانحناء وتقدير، لأنها شخصيات لا تشبه غيرها، وهنا ندخل في مرحلة التميز والتفرد في صنع الشخصية من خلال السلوك المدهش والذي تطرح حوله الأسئلة.

• **عند غابرييل غارسيا ماركيز شخصيات محكومة بالعزلة الجغرافية، عزلة نفسية، هل ثمة خيوط لقاء بين كاتبين في مكانين مختلفين؟**

اللقاء ليس بين كاتبين، وإنما اللقاء بين قناعتين فأحياناً قد تتقارب القناعات بين أشخاص رغم ابتعاد الأمكنة، أو حتى عدم معرفة هؤلاء الأشخاص لبعضهم البعض، إلا أن الفكرة في الأساس كونية أي موجودة ككائن حي، لهذا كانت هناك (ماكندو) وكانت هنا (جلفار) حيث الأبطال هم أقرب إلى اللامنتمي الذي يعزز حالة الاغتراب.

• **علي أبو الريش المسكون بالمكان الأول (المعيريض) هل يشعر بالغربة والاغتراب تجاه الأمكنة الجديدة؟ وما الذي يكسر حدّة الخوف داخله؟**

الإنسان المسكون بمكان ما يعيش دائماً حالة خوف من الواقع وحالة ترقّب وترصّد للتفاصيل التي قد تلحق بهذا الواقع، مثلاً في المدينة يشعر الإنسان بأنه مسافر إلى بلد بعيد لهذا فهو بحاجة إلى اكتشاف التضاريس والتفاصيل والعلاقات الإنسانية أي أنه يحتاج إلى زمن ليصل إلى وعي ما حوله، أما القرية فهي الكائن الأبدي المشكل لكينونة وصيرورة الإنسان.
ولكن حين يعمُّ العالم الخراب والاغتراب فأعتقد أن السبب الأول هو فقدان الحب... الحب يبدد الخوف ويبدد الخراب... والكراهية تأخذ الكون إلى جحيم الخراب.
أعتقد أن الإنسان بمختلف طوائفه وملله ونحله لو تخلى عن جل النظريات والمعتقدات وتمسك بشيء واحد وهو الحب لاستراحت البشرية من الدمار الذي أصبح سمة هذا العصر الخرب، وأعتقد أن المشكلة في الإنسان الذي لا يستطيع التصالح مع نفسه أولاً، ثم يأتي الآخر، نحن الآن في هذه المرحلة بالذات نتحدث قليلاً عن الظلم والقهر والديكتاتورية في صناعة القرار السياسي، ونتناسى أنه بداخل كلّ فرد منا ديكتاتورياً صغيراً فجّاً لا يقبل الرأي الآخر وبالتالي فإن فاقد الشيء لا يعطيه، نتحدث عن سياسات دول، ولكن سياسات الدول هذه يسيرها أفراد كانوا في يوم ما أطفالاً صغاراً رضعوا الحلم الفردي ونشؤوا وترعرعوا عليه، حتى أصبحوا يستبدلون الحليب بالصواريخ عابرة القارات لإرهاب الآخر، كل ذلك يعود إلى شغف عنيف بتحقيق الذات والتفوق على الآخر وهذا في الحقيقة ما يجعلني أكثر إيماناً بأهمية الرّواية في هذا العالم.

• **لماذا الرواية، هي المنصة أو أداة التعبير الأكثر أماناً لك؟**

لأنها المساحة الديمقراطية الوحيدة التي يستطيع الكاتب أن يتحاور فيها مع شخوصه هذه الكائنات الحية التي تسير على قلم وسطر لا يرهبها كبير ولا يوقفها زئير وهي في الحقيقة مساحة الحرية (الرواية)، هذا البرلمان الشعبي لشخوص مثل حمزة وعبد الرحمن وأحمد بندر، وغيرهم من سكان الأرصفة وهي (الرواية) رأي لمن لا رأي له في الواقع، هي صوت هؤلاء كي يقولوا كلّ شيء بحرية قصوى.

• **(جيكور) السياب, و(جلفار) علي أبو الريش، ما الذي تود قوله عن (المعيريض)؟**

أعتقد أنه لا يوجد كاتب إلا ويكون له رمز مكاني يستند إليه، طالما عزّت الأمكنة فتعلق الكاتب بمكان ما يعني رفضه المطلق لأمكنة كثيرة يعتقد أنها شائهة ومزورة جاءت إلى هذا الكون بفعل فاعل و(جلفار) ما هي إلا ذلك المطلق المتناهي في الوجود استطاعت أن تكتب روايتها بنفسها قبل سومر بخمسين سنة.

• **ما الذي يعنيه لك الزمن؟ ولماذا وقفت عند الماضي أكثر؟ هل شكّل لك الحلم النقاء؟ هل يدلنا الماضي على الحاضر؟**

الزمن كائن حي أساساً لهذا نتعامل معه كما نتعامل مع أي كائن حي يؤثر فينا ونؤثر فيه، عندما أتحدث عن الماضي لا أتنكر للحاضر، لأن المقارنة بين بعدي الزمن تكون من خلال تسليط الضوء على الماضي، فالكثير ممن ولدوا الآن، لا يعرفون شكل العلاقة وشكل الإنسان فيما مضى، وبالتالي يكون الدخول في خلايا الماضي مسألة هامة جداً لمعرفة الحاضر.

• **ما الذي فعلته بك متغيرات الزمان من خلال انعكاسها على المكان والإنسان معاً؟**

أشعر وكأنني واحد جيء به من أدغال الكهوف وقُذف به في عالم مختلف تماماً، فلذلك دائماً ما تسبق الدهشة العبارة وتتقدم الصدمة، المفردة حتى كبرت الأسئلة وصارت بحجم جمرة ملتهبة.

• **لو انتقلنا للتحدث عن لحظات حياتية حميمة، ما الذي تقوله عن مؤسسة الزواج؟**

علاقتي بكائنات هذه المؤسسة علاقة حميمة فأنا لا أستطيع أن أتعامل مع أفراد الأسرة كالمدرس والتلاميذ كلُ ما يجمعنا علاقة الأدوار، الزوجة لها دور، والأبناء أيضاً والقاسم المشترك بيننا هو الحب، بالطبع أنظر إلى مؤسسة الزواج بحب ..ولكن لو تركناها بحدودها الطبيعية لتحوّلت إلى قيد شرس، لهذا فأنا بين الرواية التي هي زوجتي وحبيبتي الأولى، وبين تلك المؤسسة التي أثمرت تسعة أولاد ذكور قسم منهم يقرأ رواياتي يدافع الفضول والاكتشاف، واثنين منهم يحبون أدبي... وزوجتي تقرأ لي دائماً كم أحب الأطفال ولهذا أثمرت تلك العلاقة تسعة كواكب.

• **ماذا تحدثنا عن رحلتك في عالم العمل؟**

ما بين قطبي الصحافة والإبداع أتحرك، فالصحافة مهنة العمل اليومي والحدث المتلاحق، أما الإبداع فهو مسألة يبرز فيها البعد الإنساني والنظر إلى ما هو أبعد عن سطح الأرض إلى عوالم أخرى مغلقة بالسحر والمشاعر المتدفقة فالمبدع إذا لم ينل قسطاً من حرية النأي بعيداً عن المترادفات وعلاقتها بالسياسة فإنه يفقد توازنه، بل إنه يعيش في دوار يومي، لهذا فالمبدع الذي يعمل في الصحافة يجب أن يكون لصاً ماهراً يستطيع أن يسرق الوقت ليمارس حقه في الكتابة.

ويتابع الأديب الروائي علي أبو الريش حديثه عن تدرجاته في العمل فيقول: «التحقت بالعمل عام 1979م وبدأت محرراً في القسم السياسي بجريدة الاتحاد، وعملت فيه لمدة سنتين ونصف، ثم انتقلت إلى القسم الثقافي وترأسته، بعد ذلك أصبحت مديراً للشؤون الثقافية، وفي هذه المرحلة عملت في الديسك المركزي، بعدها أصبحت نائباً لمدير التحرير ثم مدير تحرير تنفيذي ثم مدير تحرير. بدأت العمل في جريدة الاتحاد وتدّرجت في المراتب وبقي الأدب والفن هاجسي الأول.

صالح حبش

يوم ماطر

خرجت قبل نهاية الدوام بخمس دقائق، متأبطاً ذراع مظلتي التي نتبادل أنا وإياها كرهاً واضحاً، كرهي لها تجسد في إهمالي لمكان تعليقها، وكرهها لي كمنَ في عصيانها لأوامري بالتظليل. بدأت أمشي بخطى سريعة، هاربة من هواجس الأحلام المغتالة. بدأت تمطر. توسلت إلى مظلتي ألاّ تخذلني هذه المرة، فاستجابت. شكرتها بخبث. فجأة، التصقت بي فتاة خانتها مظلتها، وبدأت أطير، عندما لامس كتفها كتفي. رمقتها بنظرات حالمة. لم أنبس ببنت شفة. دعوتها إلى شرب فنجان من الشاي، فقبلت.

هذا ما سردْتُه لابني، عندما سألني:

- كيف تعرفت على أمي؟

جسد محترق

شبّ حريق هائل في منزل الذاكرة. احترق الحزن. احترق الحب. الذكريات لم تحترق.

احتشد عشّاق كثر، وراحوا يطرحون أسئلة كبيرة عن هوية المحترق، اخترقت مخيلات المحتشدين، ووقفت على آثار شواء جسد تعب من العواء، فهمد.

- من أنت؟!

سألت رائحة الدم التي فاحت بجواب تاه عن ضوابط الآلهة:

- أنا أنتَ.

غزت نسمة مفعمة برائحة الياسمين كياني، فانهارت أشلائي.

إنها أنتِ.

احتضنت نفسي، ورحت أتوسل الجمع إضرام النار فيما تبقى من ظلالي.

بانكين عبدالله

خليلتي

جلسنا مطولاً اليوم وتبادلنا النظرات، سألتني بإلحاح كاد يحرجني لو لا أن أحدهم طرق الباب ودخل علينا قاطعاً حبل الاسترسال بيننا بسؤاله المتأخر عما نرغب في شربه؟

”الاحمق لا يدري أننا سكرنا، وأن الوقت تأخر على الطلب“ فاكتفيت برفع حواجبي، وعدت أنظر اليها مجدداً متمنياً أن تكرر السؤال -ربما لأني ما عدت محرجاً، أو قررت اتخاذها بيت أسراري- لكنها اكتفت بابتسامة -لا تخلو من المكر- وكأنها تراجعت هي الاخرى عن سؤالها وكبحت جماح فضولها خوفاً على ما قد يثير السؤال في نفسي ”بفضل ما عكسته مرآة عيني من مشاعر لا تخفى عليها، وهي التي كلفت منذ الأزل بنقل الرسائل المبطنة بين حبيبين غير ناضجين بعد“.

عدنا نتبادل النظرات مجدداً ”ورحت أبحث في بحور عينيها عن ذاتي، كطفل أتعبه الفراق، وجاء يرتجي حضنً يحميه من صخب الحياة، رمقتني بنظرة يفيض منها الوجد وينسكب منها لوعاتُ القبل، قامة ممشوقة بوجه يحمل براءة الأطفال، ووجنتين يقطر منهما الحياء والخجل، تتمايل شبقاً وتتبسم ضاحكة؛ كأنثى متمرسة في فنون إغواء الرجال“. قطعت حبل سرحاني ورحتُ أحضر نفسي مجدداً لأفاتحها بموضوعٍ يتمحور حول سؤالها المعلق ذاك -في إشارة مني على استعدادي لاتخاذها خَليلة لي- ولكنها بادرت بالقول: ” التردد مقبرة الفرص، والوقت لا يكفي لنعيش كل ما نرغب به، يجب أن نصارح من نحب؛ لأن الفرص قد لا تتكرر، ونندم بعدها طوال العمر على تأجيل ما لم يقبل التأجيل، فكل الفرص ناضجة إن ملكنا الشجاعة الكافية“.

أومأتُ برأسي مشيراً بموافقتي على كلامها، ورحت استجوب لساني سراً ”إذ كان قد نطق بشي دون علمي ولكنه أنكر ذلك، مما أدخل الشك في نفسي“ وأنا أتشخصها بحذر، ترى هل هكرت دماغي وبدأت تقرأ افكاري؟ كيف عرفت بكل هذا ولم أخبرها بشي؟ ” وتمتمت قائلاً: ربما بكل الاسرار تدري؟“

نوديّ عليّ من الخارج، ألا تريد الذهاب الى البيت؟ عدت الى رشدي وابتسمت قليلاً، ثم تفحصت مائها، وأعدتها الى جانب المقلمة ومسدت بيدي أوراقها البيضاء، وهممت بالخروج قائلاً.. الى اللقاء..

عبقُ كوباني

دروب المدرسة ... أعيدوا لي أناشيدي الأولى!(ج1)

حسين محمد علي/

في خريف عام (1956) كانت خطواتي الأولى مثل كل الأطفال إلى عالم جديدٍ غريبٍ مجهولٍ ؛ عالمِ المدرسة ... إذاً حانت أيام المدرسة ، اصطحبني شقيقي الكبير، وأدخلني إلى أبهاء المدرسة الريفية مغموراً بالخوف والرهبة والترقب، نعم كانت المدرسة ترتبط دائماً بالخوف، حيث عصا المعلّم التي طالما أدمت أكفّ مَن سبقونا ، والعصا في أعرافنا خرجت من الجنة كما كان يردّد الكبار على مسامعنا !

كانت المدرسة الريفيّة - والتي بُنيت أواخر الأربعينات ببنائها الفاره وقاعاتها وممرّاتها وشبابيكها المشبوكة بالخشب ورائحة الدهان والخشب العابقة فيها - عالماً مَوّاراً بالحركة والحياة والتلاميذ بمريولاتهم السوداء ذات الياقة البيضاء في باحتها المترامية دون سور، إذ كانت المنطقة المحيطة بالمدرسة خلاء إلّا من بعض البيوت المتناثرة هنا وهناك، ورغم العدد القليل من التلاميذ إلاّ أنها كانت بالنسبة لنا خضماً من الازدحام؛

كانت المدرسة محاطة بالأشجار المتنوّعة من السرو وأشجار الزينة وبعض الأشجار المثمرة وأحواض مزروعة بالفول والشعير والجلبان. وفي أقصى الباحة من الشرق غرفة للمحرّك ومضخّة للماء وحوض كبير تحوّل إلى حوض للسباحة، أشرف عليها (نجمي فندي) الطيّب صاحب الريشة الفنّيّة في الرسم.

كانت خطواتنا الأولى تلك، رحلة من المعاناة على أيدي معلّمي تلك الأيام بصرامتهم وجدّيتهم وإخلاصهم وانضباطهم، وهم يتعاملون مع كتل بشرية هلامية من أمثالنا تستعصي على الترويض ! نحن القادمون من فضاءات صيف كوباني المفتوحة على الشغب والحرّيّة وطقوس الماء والشجر والظلال ومن غاراتنا على بساتين البطيخ وكروم العنب !

المحنة كانت بالنسبة لنا تكمن في جهلنا باللغة العربيّة، وهذا كان يقطع التواصل بيننا وبين المعلّمين في الشهور الأولى وهم من خارج أبناء المنطقة.

ولمّا لم تكن هناك مدرسة إعدادية فقد كان هناك في المدرسة جناح للإعدادي بعدد قليل من الطلّاب أغلبهم من الأرمن، وبكثير من العنت والعناد والصبر اندمجنا مع إيقاع الحياة في المدرسة ، وكانت الباحة الكبيرة والأشجار الظليلة تفرغ شحنات شغبنا الطفولي وشجارنا الذي لا ينتهي !

الدوام في المدرسة كان على فترتين ؛ صباحيّة إلى الظهر، فننصرف إلى البيت للغداء ثم العودة ثانية إلى المدرسة لقضاء حصّتَين مخصّصتين للزراعة في مزرعة المدرسة تُنفّذان عملياً حسب المنهاج المقرّر.

كانتا حصتين من المتعة والحركة الحرة بالمعاول والرفوش والأمشاط والزنابيل .

مدير المدرسة في هذه الفترة كان يُدعى) مفيد البالُلي أو البالوني (في فترة كانت عاصفة بالأحداث في سوريا والمنطقة، لم نكن نفقه شيئاً ممّا يدور ؛ لقلة وسائل الإعلام وضعف وعينا .

الانقلابات العسكريّة كانت براءة اختراع سورية بامتياز ! كنا نخرج في مظاهرات حسب الطلب وتتعطّل المدرسة ، وهذا ما كنّا نتمنّاه على كلّ حال !

مدرسة الريفية عام 2017

يأتي الطلاب الكبار من الإعدادي - وهم أكثر وعياً - يطلبون منا الخروج، فنخرج لنردد شعارات وعبارات لا نفقه معناها، أيدينا وحناجرنا كانت فقط مطلوبة للتصفيق والصراخ، كانت حالة من الهذيان السياسي مضحكة ومبكية ، هذا دأب مشاهدنا السياسية والاجتماعية، فكأننا كنا فصولاً في مسرح اللامعقول بانتظار ما لا يُنتظر ! إذ لم يكن غريباً أنّ مظاهرة ما مؤيدة لجهة سياسية إذ بها تنقلب إلى حالة مضادة بسبب سرعة الأحداث وتلاحقها دون أن تعطينا متّسعاً لالتقاط الأنفاس! فيوماً تظاهرة مؤيّدة لعبد الناصر ، وغداً قد تكون مناهضة ، وأخرى مؤيّدة لقاسم، وبعد غد مناهضة، فيُؤتى بحمار صغير قميء، وتُوضع عليه كرتونة مكتوب عليها) قاسم أو ناصر(ولافتات مؤيدة وأخرى مضادّة ، لم نكن نفقه لماذا كان الزعيمان المذكوران لهما هذا الحضور في الساحة السورية ؟ ولماذا تحوّلت هذه الساحة إلى مرمى لتراشقات حجارة العروبة أحدهما مصري والثاني عراقي ؟ ! أنا أفهم أن يكون هناك مؤيّد ومعارض لـ (أكرم حوراني) فهو سوري، أمّـــا أن يكون (ناصر وقاسم) عابرين لحدودنا، فهذا والله العبث بعينه وحَوَل سياسي غريب، هذا الحراك الذي تمخّض عن وليد مرعب هو) الوحدة بين سوريا ومصر (وسنواتها العجاف، وهي التي ستؤسّس فيما بعد لتفريخ أنظمة فتكت بكل ما هو نبيل من أحلام وصبوات في حياة شعوب المنطقة !

إنّ ما حصل وما كان يحصل هو أنّ هذه القضية النبيلة للشعب العربي قد تمّ التعامل معها بوسائل غير نبيلة من قبل فحول العسكريتاريا الأشاوس مخترعي براءات الانقلابات العسكرية !

كانت الوحدة سنوات حافلة بكل ما هو أليم حرّكت فينا قسراً المشاعر والقبضات الملوّحة المهدّدة في احتفالات الثاني والعشرين من شباط ذكرى قيام الوحدة والأناشيد التي رددناها " الله أكبر فوق كيد المعتدي" و " من موسكي لسوق الحميدية" و " فلسطين نادت فلبوا النداء " و " دع قنالي فقنالي مغرقه ، دع سمائي فسمائي محرقة" ، وحتى نشيد الجزائر الوطني "قسماً بالنازلات الماحقات"

أولى تباشير الوحدة كانت تدفُّق المعلّمين المصريين إلى سورية من الإقليم الجنوبي إلى الإقليم الشمالي في بادرة شكلت بداية انحراف الوحدة عن مسارها وحماقة المصريين في التعامل مع الحالة الوطنية السورية الحسّاسة وشهوة المصريين للهيمنة على سوريا، هذه السياسة الخرقاء اصطدمت بالوطنية السورية العنيدة ؛ ممّا أدى إلى تفجُّر مشاعر العداء بين المعلّمين السوريين والمصريين.

في المدرسة كنّا نشاهد بوضوح شظايا الخلافات تتطاير ، ودخانها يتصاعد ، ونحن نسترقّ السمع والبصر إلى ما يجري في الإدارة مــن مشاحنات وشجار بين المصريين ومدير المدرسة السوري) أحمد الخطيب (، يا لها من أيام وسنوات بقيت في ذاكرتنا خصبة حيّة !

... يتبع

مدرسة الريفية درس رياضةعام 1962

أزمة «اللايك»

إدريس سالم

فيس بوك، هذه الشبكة الاجتماعيّة الزرقاء التي لم تعد تحمل لنا حياة هنيئة مستقرّة، فكثير من صراعاتنا النفسيّة تأتي منها، هي خليط من منشورات تتعلّق بأخبار عالميّة وأخرى محلّيّة وأخرى شخصيّة ودراسيّة مرتّبة وفق خوارزميّة غامضة وفوضويّة، خاصّة وأنها لا تفهم النفس البشريّة بقدر ما تفهمها خوارزميّات الإعلانات التجاريّة المكثّفة والكثيرة، خوارزميّات معقّدة سبّبت لي مقداراً من التشتّت الذي لم أدرك عواقبه إلا مؤخّراً، فالتعرّض المستمرّ لهذه الكمّية الهائلة من المحتويات التي كنت أتابعها طيلة عقد من الزمن أثّرت سلبًا على خلايا دماغي، رغم تواجدي القليل عليها، حيث باتت قدرتي التفكيريّة على استيعاب ما يحدث في داخلي ومحيطي أمراً مرهقاً وتعيساً، وكأنني مصاب بداء الزهايمر.

علميّاً يقول خبراء الكيمياء أن مجالهم لا يستطيع تفسير كلّ الدوافع النفسيّة للإنسان، في حين أن شعور السعادة يترافق مع إفراز النواقل العصبيّة لها بأمر من الدماغ، وهي مادة أو هرمون يسمّى «الدوبامين»، المتحكّم بالاستجابات العاطفيّة والمسؤول عن شعور المكافأة أو الرضا بعدد اللايكات التي نالتها صورة أو فيديو أو منشور ما نشرناه على صفحتنا، وإفراز تلك النواقل يدفعنا إلى الحاجة للمزيد منها، ما ترتفع نسبة إحداث شعور الفرح لدينا مع التعرّض لنفس ذلك المُثير ومثيرات مرتبطة بها، فإدمان الفيس بوك لا يختلف من ناحية المبدأ عن إدمان المخدّرات، إذ يكون في البداية أمراً نفعله بإرادتنا، ثم يخرج عن نطاق سيطرتنا. ولا ننسى السيرُوتُونِين.

إيماناً بأن التواجد الدائم يسرق منا الوقت دون أن ندري أو نعي نتائجه الوخيمة على حياتنا، قليلاً ما كنت أتوقّف عند منشورات بعض الأصدقاء الصادقين، فأمنحها وقتاً وأنا أستمتع بفائدتها أو أهميتها الذهنيّة، في المقابل كثيراً وما إن أفتح حسابي صباحاً حتى يتعكّر مزاجي، فأشعر بخيبة أمل بسبب نشر أحد الأصدقاء كلاماً ليس له، دون أدنى اعتبار واحترام للخصوصيّة، ولو بوضع كلمة (منقول) في نهاية منشوره، كثيراً ما كنت أقرأ مشاحنات هنا ومشاجرات هناك بسبب سرقة منشورات أو تعليقات، حتى وصلت إلى حدود التفوّه بكلام خادش وانتهاك في الأعراض والأخلاق والتربيّة، فسرقة ومضة أدبيّة تعادل ارتكاب إثم عظيم.

عزيزي الفيسبوكيّ:
لا يعني وضع «اللايك» لمرّة واحدة أو بشكل متكرّر بأنك معجب بكلّ أفكار تلك الشخصيّة التي تنشر – سواء منشورات مأفونة أو بليغة – بقدر ما يدلّ على أنه ربما فكرة ما أو هدف أو رسالة تكمن خلف وضعك له. فكم من انتقام، أو توجيه رسالة، أو تحقيق هدف معيّن وصلت إليه خلف ذاك الزرّ الأزرق الأحمق الذي كرّهنا بالسماء والبحر، وبكلّ ما يربطنا بالأماكن المفتوحة والحرّيّة والخيال والإلهام، أو بالثقة والولاء والحكمة والاستقرار والإيمان...!!!!!

لكلّ مستخدم لشبكات التواصل الاجتماعيّ المتعدّدة حارة يصول ويجول في أزقّة لايكاتها وتعليقاتها ومشاركاتها ومشاهداتها، فدبلوماسيّاً قد يفجّر أو ينعش لايك واحد أزمة سياسيّة أو اقتصاديّة بين دولتين أو عدّة دول وأحلاف، فما بالكم اجتماعيّاً أو ثقافيّاً إن فجّرت أو أنعشت آلاف المشاكل الراكدة في عقولنا العارية التي تلتحف بخمولها ولا مبالاتها وتشبّثها بقشرة سميكة معفّنة.

ليت الفيس بوك كما كان منذ بداياته، حينما كان حكراً على مجموعة من المثقّفين تكنولوجيّاً، أما اليوم فصار سلاحاً فتّاكاً له نُصُول منها سامّة وحارقة وأخرى حامضة ومالحة والكثير منها كالحة ومُرّة، أيّ عبارة عن قصائد فوضويّة وقصص فارغة من القصص وألغام مزروعة في كلّ حقل شخصيّ، تخيّلوا معي أن صورة من كايلي جينر – Kalie Jenner على الانستغرام تتلقّى 80.000.000 لايك! إذ بذلك تتقاضى مليون دولار عن كلّ منشور ترويجي يظهر على صفحتها بحسب موقع خاصّ بمشاهير العالم.

بات قليلاً جدّاً أن يناقشك أو تناقش مستخدماً لهذه الشبكات – قريباً منك كان أو غريباً عنك – ويناقشك حول صورة نشرتها أو فكرة كتبتها، ويمنحك رأياً موضوعيّاً يفيد نفسه ويفيدك، بل على العكس، نسبة كبيرة منهم تجده يثبت لك بأدلّته الدامغة في أنه مستخدم فعّال، وأنه يراقب تحرّكاتك من خلال محادثاتك، أو تعليقاتك، أو لايكاتك، حيث يستطيع أن يتكهّن أو لأكون منطقيّاً يثبت لك متى نمت، ومتى فقت، وكم مرة فقت من نومك، لدرجة أن الشكّ أو اليقين يلتحفانك في أنه تابع لإحدى أجهزة مخابرات الفيدراليّة الألمانيّة أو مخابرات الـ CIA أو الموساد...

ربما صار اللايك دين ووفاء، أو أحد معايير البطولة واستعراض العضلات المطعّمة بهرمونات الجهل وغياب الوعي وفقدان الإحساس بالآخر الذي يتربّص به الجوع والفقر والحرب، خاصّة وأن برامج التواصل الاجتماعيّ غيّرت من شكل الحياة على وجه الأرض، والتغيير لم يتوقّف عند حدود التشارك المحمود أو المذموم في الفكرة أو المعلومة، بل وصل التغيير إلى أقصى نقاط العمق في أرواحنا ونفوسنا والتلافيف الداخلية لعقولنا، مشوّهاً الكثير من قناعاتنا ومسلّماتنا وأخلاقيّاتنا، فباتت حياتنا هشّة لا طعم لها ولا رائحة، ليصبح هذا الموقع مرتعاً للأدمغة الغافية والمحادثات الغبيّة، ولو نسبيّاً.

كثيراً ما كنت أقرأ عبر صفحتي في الفيس بوك أو تويتر ومضة شعريّة ينبثق منها النغم والخيال والصور والأفكار السامية والرسائل الإنسانيّة لشاعر له باع طويل في كتابة الشعر وقراءة الكتب الثقافيّة والمعرفيّة، فلا أجد إلا ثلاثين لايكاً بارداً أو عشر تعليقات متكوّرة. كثيراً ما كنت أقرأ مقالة فكريّة فلسفيّة أدبيّة نقديّة مليئة بالأفكار الجديدة والمبادئ المنعشة بفعل مواقف إنسانيّة حيّة يتميّز بها كاتبها أو مفكّرها أو ناقدها، فأصطدم بوجود عشرين لايكاً تنحني خجلاً وخمس تعليقات. كثيراً يا أصدقائي ما يأخذني التأمّل ويسرقني من نفسي ويرميني إلى أماكن بعيدة العودة منها تحتاج إلى أسابيع وشهور، والاستيقاظ منها إلى سنين طويلة، عندما أشاهد لوحة فنّيّة تشكيليّة تعبّر عن الواقع البائس اليائس، أو كاريكاتور يعادل كتابة ألف مقالة سياسيّة واجتماعيّة، وكان ذاك الفنّان التشكيليّ أو الكاريكاتيريست قد سهر وتعب أياماً وليال حتى أنجزها أيقونة فنّيّة قد تخلّده وتخلّد بلده، فيأتي مَن يقيّمها بسبع أو خمس لايكات، ويرميها بكلمة (مبدع، رائع، واو) بكبسة زرّ ليقول في قرارة نفسه: (وهاي علقنالك).

أما إن كان ذاكر الشاعر أو الكاتب أو الناقد أو الفنّان فتاة جميلة أو امرأة جذّابة، فالحقيقة حتماً ستختلف، ولو نسبيّاً، وهنا لا أقصد ولا أريد أن أنقص من قيمة وإبداع الأنثى بقدر ما أن الجيل الراهن – بنسبته الكبيرة المستفحلة – يلهث خلف كلّ ما هو ناعم ومعسول، فكم من قصيدة هابطة ركيكة كتبتها شاعرة فوجدنا عليها آلاف التعليقات واللايكات! كم من مقالة تفتقد إلى الأسس الكتابيّة لكاتبة تبحث عن الأضواء فكان كلامها ملتحفاً بمئات من تعليقات الثناء والمديح ومطالبتها بالمثابرة والاستمرار وعدم الاستسلام! كم من مغنّية لا تفقه الغناء شيئاً، لا تفقه الموسيقى واللحن شيئاً، لا تفقه الطبقات الصوتيّة شيئاً فتري كليبها أو أغنيتها قد أحدثت ضجّة إعلاميّة؛ ليس لأنها أنثى أو جميلة، بل لأننا نكرات مريضة، مشوّهون فكريّاً وناقصون معرفيّاً، ولا تعتقدوا بأنني بمستثنٍ عن ذلك، فأنا أوّلهم. ولأنني قرّرت ألا أكون مثلهم فستقرؤون قراري ورأي وموقفي حول أزمة اللايك، لكن أرجو الآن أن تتابع قراءة المقالة حتى آخرها.

إن الطريقة التي بات يسلكها الكثيرون منا للحصول على كلّ هذا التدنيّ الأخلاقيّ المقيت، وتقديم تنازلات ليس مضطرّاً لتقديمها، والطعن في ثوابته قبل ثوابت غيره، والتباحث في قشور تهريجيّة، بات هو الهدف الأسرع والأسهل تحقيقه والأكثر ضماناً لتحقيق (اللايك)، لدرجة أن واضعه أصبح ذاك البطل الذي يجرؤ على انتهاك المقدّسات العامّة والشخصيّة، واستفزاز الناس في عقائدهم وثوابتهم وآرائهم.
هنا دعونا لا ننسى فكرة أن كلّ شخصيّة صارخة ومتمرّدة على مواقع (الدمار) الاجتماعيّ ليست كذلك على أرض الواقع، فكم من أسد زأر على هذه المواقع كان في الحقيقة قطّة تعيسة تحبّ المظاهر!! إذاً الموضوع متداخل جدّاً في موضوع أكبر وأتعس وهو التزييف الروحيّ الذي يفتك بنا.

أذكر في حديث لي على الهاتف، بينما كنت أقرأ في الحديقة المجاورة لمنزلي، أن صديقاً كاتباً قد هاتفني، وناقشني في أمور تتعلّق بكتاباته، كنت قد قلت له أن مائة صديق يتفاعل مع منشوراتك، فتدرك بقيمة الكلمة التي تكتبها أفضل من خمسة آلاف صديق مكدّس كأشياء كثيرة لا ضرورة لتخزينها في سقيفة البيت، ليصدمني بجواب مرعب مبشّر بقادم أسوأ من الحروب المسعورة والطاحنة:
«لا يهمّني أن يقرؤوا أصدقائي، فاللايك يا إدريس في كثير من الأحيان تعبير حقيقيّ عن متابعتهم لما أنشره واهتمامهم بما أكتب، وهذا ما أريده أنا أو هذا هو الأصحّ من وجهة نظري».

إذاً الخطر الأكبر من كلّ ما حاولت توضيحه أو البوح به كوجهة نظر بحتة هو أن مؤشّرات اللايك تخطّت دلالاتها على قيمة المشاركة في ذاتها، بل أصبحت تشير إلى المكانة الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة لصاحب المشاركة أكثر من دلالتها المعنويّة على الإعجاب بالكلمة المكتوبة أو المرئيّة أو المسموعة، أو حتى الصورة واللوحة الفنّيّة، فمَن يملك لقاحات فكريّة لوباء التفاهة، ويمتلك القدرات الكافية في سبيل إيقاف الركض المحموم خلف هوس اللايكات والمشاركات المستفزّة على طريقة ما يطلبه التافهون؟

أحياناً هناك حلول تظهر فجأة وبقدرة ربّانية، أو حلول تُفرض نتيجة الظروف القاهرة، وهناك حلول تُخلق دون تخطيط وذلك بالهروب من المشكلة المعقّدة أو الأزمة المستمرّة، تماماً كالهروب من الموت والسنوح بفرصة أخرى لشمّ رائحة البقاء، وهذا ما أنا بفاعل، إذ أعترف بأنني قرّرت – بعد تفكير طويل مشبع بقناعة تامّة – الهروب من عالم مواقع التواصل الاجتماعيّ، وكسب ضميري وروحي وما تبقّى مني كمشاريع كتابيّة مستقبليّة، وفضّلت الانزواء بمفردي في التحليق مع شؤون وشجون عائلتي والاختلاء بالكتب والكتابة، وفتح قنوات تواصل اجتماعيّة ثقافيّة (محدودة) مع الأصدقاء والكتّاب والصحافة عبر بريدي الالكتروني الذي سأدرجه في نهاية المقالة، أو التفاعل عبر صفحتي الرسميّة على تويتر.

أعترف بأنني لم أستطع تحمّل حنجرة مشعوذين ودجّالين في عالم الأدب، لذا قرّرت الرحيل. بتّ أفتقد إلى روحي وعقلي والخوف من ضياعهما أكثر في هذا العالم العجيب والغريب والمرعب، لذا قرّرت الاحتفاء بما أشعر وأعاني خلف الأضواء. أعترف بأن اللايك، التعليقات، البوستات، والمستخدمين... هزموني هزيمة مؤلمة، لكنهم لم ينتصروا على قلمي، فلم يقرع الفشل بابي، لكن خيبات موجعة طرقت زجاج نافذتي مرّات ومرّات، لذا سأبتعد لأرمّم زجاج ذاتي المكسورة. باقٍ أنا، ولن أرحل، حاضر بين متن الروابط وأقسام المواقع.

مَن يحبّني ويؤمن بقلمي سيتنفسني ويقرؤوني في المواقع الالكترونيّة التالية: موقع سبا الثقافيّ، موقع ولاتي مه، الحوار المتمدّن، الترا صوت، ضفّة ثالثة، جمعيّة الأوان، أنتلجنسيا، باسنيوز، روورداو، ألف، طنجة الأدبيّة، مصر العربيّة، والكثير الكثير من المواقع الثقافيّة والأدبيّة والفنّيّة.

أخيراً:
عندما أرسلت هذه المقالة إلى فتاة عشرينيّة طموحة – تحتلّ مكانة في حياتي كالتي تحتلّها عائلتي – سألتني في نهاية رأيها على المقالة أسئلة كانت ذي دهشة وصدمة كبيرتين:
أيعقل أن تصبح أروحنا مبرمجة إلكترونيّاً؟ أيعقل انقراض الإنسان على هذه الشاكلة؟ ماذا لو أقيم لمدّة شهر واحد حظراً شاملاً على جميع مواقع التواصل الاجتماعيّ من قبل مؤسّسي شركات إنتاجها، رغم أن الفكرة اقتصاديّاً مستبعدة كلّيّاً؟!

Idris.heci.salim@gmail.com

يوم من أيام سقر

سلمى جمو

كان ذلك في عصر يوم صيفيّ حارّ وجافّ، عندما كنت ألعب فوق سطح بيتنا مع صديقتي الجميلة التي كان أبي ينهرني كلما وجدني أرافقها؛ ذلك أن باعتقاده أنها طفلة غير أخلاقية، لأن أمّها غير أخلاقية هي الأخرى، وكلنا نعلم أن الفتاة سرّ أمّها، أما بالعودة إلى أمّها ولماذا هي غير أخلاقية، فنظرية أبي كما نظرية كلّ الذكور للمرأة عندما تكون أرملة أو مطلقة فهي بالمطلق تضاجع أحداً ما، فإذا قلنا أن هذا غير منطقي، يكون الجواب في الغالب الأعم: إذاً كيف تستطيع أن تعتني بأطفالها ولا زوج يعيلها ولا هي بالعاملة؟!

مهما كان هذا المنطق منافياً للمنطق فإنه سيد الحالة بكلّ جدارة، ذلك أنه في مجتمع ذكوري كلّ امرأة بدون ذكر هي عاهرة أو ناقصة، أما متى تكون المرأة كاملة في هكذا مجتمع، فالجواب أيضاً «عندما تكون بقرة حلوب على الصعيدين الجنسي والإنجابي، ولا ننسى أيضاً على الصعيد الحرثي في بيت الطاعة». يبدو أنني لا أستطيع أن أضبط نفسي بالقوالب التي تقولب بها النصوص وأراني أجمح عن الفكرة الأساسية لأفكار أخرى لا تقلّ أهمية عنها، بحسب وجهة نظري المتعجرفة قليلاً.

بالعودة مرة أخرى إلى ذاك اليوم، كنا نلعب كما أسلفت بالكُرة، وشاءت الأقدار أن أقذف بالكرة عالياً، ذلك أني وقتئذ كنت مولّعة بكرة القدم، لتطير الكرة وتحطّ الرحال على سطح بيت جارنا الذي كان حائطه ملاصقاً لحائطنا. بعد دقائق من النقاش الجدّي المكفهرّ مع صديقتي، اتفقنا على أن أتسلّق أنا الحائط، ذلك أني كنت أنتهز كلّ فرصة كي أثبت لنفسي وللآخرين أنه بإمكاني القيام بأفعال الصبيان أيضاً، وكان ذاك الشعور يمنحني قوة نفسية، أعتقد أني هنا بحاجة إلى «كارل يونغ» أو زملائه كي يعطوا بعداً سيكولوجياً لتصرفي هذا وما يكمن تحته من رغبات مبهمة، تسلّقت الجدار أخيراً ولحسن حظّي التعس فإن شرائط هاتفنا الأرضي المعلّقة على ذلك الحائط الأحمق قد انقطعت، ليزداد الموقف تعقيداً وتراجيدية.

لم أستطع المجيء بالكرة، وطلبت من صديقتي أن تغادر منزلنا، لأني بذكائي الطفولي كنت أستطيع تخمين المستقبل.

أبي، علم بالحادث وعلم أني الجانية، وتحوّل ذاك اليوم الحارّ إلى يوم من أيامي في سَقَر.

ذهبت مسرعة إلى غرفتنا الكائنة في آخر ركن من البيت، المنزوي في زاوية منفصلة عن باقي أرجاء المنزل عن طريق ممر مظلم قصير، في تلك الغرفة التي نادراً ما يدخلها أحد ما، كانت توجد آلة للخياطة مركونة في زاوية الغرفة، تلك الآلة وبحكم أنها لم تعد للاستهلاك الإبري فقط طوتها أمّي بشكل أنيق لتفرد عليها بعد ذلك قماشاً فستقي اللون تتوزّع رسومات الليمون والبرتقال على مداه.

وأنا أقف وسط الغرفة أبحث لنفسي عن وكر أركن إليه نافدة بريش بدني من سياط أبي، «وجدتها!» قلت لنفسي، وانسليت بحذر تحت الآلة التي كان القسم السفلى منه خالياً، وكأن القدر قد أعده لي لأنفد بطفولتي إليه. انكمشت على نفسي، ساحبة قدمي النحيلتين السوداويتين إلى صدري أنتظر بترقّب الأحداث التالية.

كان الركن مظلماً جداً وصامتاً سوى من صوت أنفاسي المتقطّعة، أنفاسي التي كنت أخفض صوتها كي لا يعثر علي أحد، حتى أني كتمت سعلة لعينة أطبقت بمخالبها على حنجرتي وكدت أختنق، لكني نفدت بأعجوبة! كان كلّ مَن في البيت في حالة استنفار؛ بحثاً عني، أما كيف عرفت أنهم كانوا يبحثون عني، فلأن أختي أتت إلى الغرفة تبحث عني وتكلّم نفسها «أين ذهبت هذه الفتاة، لا نعثر عليها في أيّ مكان». لتطفئ المصباح وتغادر من جديد، في رحلة بحث جديدة.

قضيت هناك ما يناهز عن الساعتين وأكثر في انتظار أن يهدأ الجوّ، مهدّئة نفسي بأن أبي سيصلح الشرائط ثم بعد ذلك سيتناول عشاءه ويصلّي، ليجلس كعادته الروتينية كلّ يوم أمام التلفاز لمشاهدة برامجه، وكان لحسن حظّي يوم الثلاثاء، أيّ سيتابع برنامج «الاتجاه المعاكس»، برنامجه المفضّل، وبفضل ذلك سينسى أمر العطل وسأنفد من العقاب بطبيعة الحال.

بعد ساعتين خرجت من حجرتي لأقابل أختي وهي تتأمّلني فاغرة فاهها: «أين كنت؟ كنا نبحث عنك!»، لأجاوبها بأني كنت مختبة هرباً من العقاب، وكم كرهت تلك القهقهة التي أطلقتها على رعونتي، لتطمئنّني بأن أبي قد نسي الموضوع من أساسه، أيّ حدث ما كنت أتوقّع!

المدهش أن طفلة في عمر العاشرة بها من النضج العقلي «الإجباري»، هذا النضج الذي أهّلها كي تخطّط وتفكّر وتستنتج ردود أفعال الأشخاص البالغين لتقود على إثر ذلك بتحسّس موضع قدمها كي تخرج بأقل ضرر في معركة تشويه الطفولة.

تُرى مّن المسؤول عن نضجنا قبل الأوان؟ لِم كبّرونا دون أن نعيش طفولتنا؟ لماذا أجبرونا على حرق مراحل حياتنا دون أن يكون لنا فرصة اختيار عيش مراحلنا كما نشتهي؟

هذه الحادثة كنت قد نسيتها تماماً أو تناسيتها، أو أجبرت نفسي على نسيانها، يقول فرويد بأننا لا ننسى تفاصيل طفولتنا، بل نجبر أنفسنا على نسيانها، لأن تذكّرها يسبّب لنا التوتر والألم النفسي، لذا دفعه إلى مناطق اللاشعور أيّ «نسيانه» هو بالأساس آلية من آليات الدفاع النفسي، لكن لم أتذكّرها الآن؟

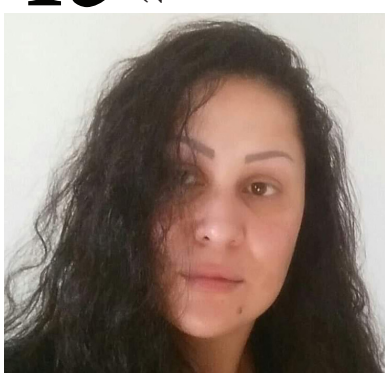

ملاحةٌ صفراءُ

ميلينا مطانيوس

عبثاً هو السؤالُ
أهلوسُ فوق غيمةٍ
أرتعدُ ما بعدّ قصّ السرّةِ.
ما قيمة عدّ الجواري بعد السبي
ومن أين يؤكلُ الخصرُ
المتورّدُ؟
كمَن يحاربُ التتّارَ بنقطةِ زئبقٍ،
أغلقُ ما تشتّتَ من حواديت،
أنهرُ الحائطَ والسائقَ
ونهداً كبّلتْهُ براثنُ ذكرٍ
نسيَ أنّ لعبادةِ الشيطانِ حجّة
ولرميّ ما تبقّى منّي حجّة
وللصلاةِ على موتي المؤجّلِ
ألف حجّة،
ربّ الصباؤوت!
ألا ننتهي؟
بستانُ الزيتونِ لم يعدْ بأورامي
يحتفي
وذاك الحبيبُ هطلَ في قارورةِ يهوه
واختفى
فعلامَ المغفرة!

.

صباؤوت: **كلمة من أصل يوناني. وتعني جيوش أو جماهير. والجيش يعني القوة والقدرة على إتيان أفعال عظيمة ومُدهشة.**

حنين الصايغ

كيمياء الغياب

غالباً ما يقف الهواء غصّة في حلق الغياب
تنبت للأفكار أنياب
تُسنّن بتعرّجات دماغك
وتُثلم ناهشةً في أناك
عذر الغائب معك
صورته ينحتها قلمك
وأنت جليس المتناقضات
تلين وتقسو
تذوب وتتبخّر
كمادة تحليل في مختبر
ومن ثم تُمطر على وحدتك
تُمطر داخل أنابيب معدّة لتحليل سواك
فتبقى نفسك محور الدراسات
وهشاشتك مسؤوليتك وحدك
في مختبر الأنا
وفي علم كيمياء الغياب.

عدنان شيخي/ ألمانيا

خريفيَّة حَمقاء

والفُكاهَةُ
خريفيَّة حَمقاء
تنْهَشُ اسمي
وعلى بَياضِ خدّك،
قبلَ المِيعَاد تَقتلُني
تُلهِمُني..
أجراسَ شتاءٍ باهتٍ
سرقَ البرد مَن العُيون
وناحَ الأمْسَ في مُذكَّراتي
المُلتفَة حولَ نيرانِ المعابد
والهاتِفةِ بي:
لا لكَ، لا لي..
لا للصَّمتِ ميعادٌ في خدِّك المُضجَر
ولا للغيمِ أجراسٌ تَبوحُ بِلُطفِ الأصابعِ إليك
لا لكَ، لا لي..
لا لكَ..
أمجادَ غيمٍ سقطَ سهواً على رفوفِ مُذكَّراتك
ولا حروفاً اصطفَّتْ بفَوضويَّة النّشوء على
جَبينِ قصيدتك
ولا دمْوعاً سالتْ
مِن قِممِ السقوط على رَصيفِ ألوانك
لا لكَ، لا لي..
لا حاضِراً يَعْبثُ بِكلِماتك
ولا قادِماً يَلهو بِاسمكَ على مرأى السَّاهرين
ولا عشيقةً سَتتشفُّ اللَّيلَ عن جسدك
وتُعلِنَ ميلادَ الصَّمتِ في صخبِ الموت
لا لكَ، لي ولا لي، لك.
فلتمضِ إلى الرَّماد
المُتطايرِ شَغَفاً مِن ذاكرة أَنْفَاسك
فقدْ تعبْنا الإحتراق
قدْ تعبْنا الإحتراق

آراس حمي

تريد أن تعيش

تريد أن تعيش
وأنت تتذوق اللحظات المختلفة
بنبضٍ حاد / بغايةٍ عالية
كأنك تهرب من حياةٍ هي لك

دخنتَ الكثير من السجائر والمعنى
استهلكت أكوان اللذة والشعر
جرحت غيرك بصداك الفاضح
قتلت هواءً تشبث بملامح وقتك
ضاجعت النساء والصابون
حاربت واستسلمت
دخلت قصور الحب وكهوف الكره
فعلت ما يفعله الإنسان
حين يضع الحياة فوق الطاولة
تريد أن تعيش
وأنت تنتشي بالحكمة والخرافة
بأدوات الموت والحياة
كأنك تهرب من موتٍ هو موتك

رقصت مع الأفكار والشعوب
وسعت مؤخرة العالم
لعبت بالزمن والمنفى
ركضت في حقول التاريخ والجهات
انعشت قلب الكينونة والطفولة
عرفت كيف تكون جاهلاً وعالماً
كيف تحول الجروح إلى حقوق
كيف تحول الأعضاء إلى زهور
كيف تحول الواقع إلى فضاء
فعلت كل ما يفعله الإنسان
حين تضعه الحياة فوق الطاولة

تريد أن تعيش
وأنت تعيش بكل ما فيك
في حياةٍ
تبحث
عن
الحياة

همسات القلم

أخلاق وفنّ الكتابة

نارين عمر

تعدّ الكتابة التي تصنّف ضمن فصيلة الأخلاق والفنّ والأدب معاً من أصعب المهن والنّشاطات والهوايات أو المواهب التي يسعى إليها الإنسان وفي الوقت نفسه تعدّ من أسهلها أيضاً، أيّ ينطبقُ عليها مقولة ''السّهل الممتنع'' الذي يغري الآخرين بالانجذاب إليه وحين يقترب منه يجد العراقيل والصّعاب تنتظره.

قبل عدّة سنوات أي قبل هبوب الرّياح والعواصف البشريّة المتمثّلة بالحروب العشوائيّة التي حلّتْ بالكثير من مناطق الشّرق ومن ضمنها منطقتنا كان الشّخصُ منّا ينتظرُ وينتظر طويلاً ويعدّ من الواحد إلى الألف بل إلى المليون حين كان يفكّر بالولوج إلى هذا العالم وحتّى مَنْ كان يدخله متسلّلاً لا يمتلك مقوّمات وملكات الكتابة والأدب كان يقعُ ويسقطُ سقطة لا قيام أو قومة له، أمّا الآن وتحديداً منذ هبوب رياح هذه الحرب المجنونة وحتّى الآن أصبح الكثير من الكرد رجالاً ونساء، شباباً وكباراً كتّاباً وأدباء وشعراء بل وسياسيين ومفكّرين ونشطاء وباحثين وقادة محنّكين وكأنّ هذه العواصف والرّياح والرّعود والبروق التي هبّتْ على شرقنا وعلى منطقتنا ومجتمعنا قد سقطتْ على فك وعواطفِ ووجدان هؤلاء ففجّرت فيهم آبار الثّقافة والعلم والأدب والكتابة والسّياسة، فصاروا يتنافسون ويتبارون ويتفاخرون ويتحمّسون بالمحاضرات والأمسياتِ والخطابات والهتافاتِ، ويُدْعون بطرقٍ وأساليب ما إلى الاحتفالات والمهرجاناتِ والحفلاتِ وهم واضعين على رأسهم ريشاً ووبراً وصوفاً وحراشف يتنافسون على المقاعد الأماميّة وعلى الألقاب الخلّبيّة والشّاقوليّة والعاموديّة، ويجوبون الأرض بطولها وعرضها، ويقول الواحد أو الواحدة منهم: ''يا أرض اشتدي ما حدا قدّي'' مستخدمين في ذلك كلّ ما يملكونه من مواهب دفينة في الانتهازيّة والاستغلاليّة والأنانيّة سيراً على مبدأ ''الغاية تبرّرُ الوسيلة''.

نقول هذا مع التّأكيد على أنّنا نباركُ صاحب كلّ قلمٍ يترجم صدق شعور وحسّ أيّ شخصٍ وأيّ فردٍ في مجتمعنا. نبارك لهم فكرهم ونبل وجدانهم وسلامة ضميرهم تجاه شعبهم ومجتمعهم ووطنهم، ولسنا ضدّ أيّ شخصٍ يلجُ عالمَ الكتابة والأدب والعلم والمعرفة ولكنّنا نتمنّى على هؤلاء إذا حصلوا على مكانةٍ ما وتبوّؤا مناصب ما ألا يستهينوا بغيرهم وألا يهينوهم.

كما أنّنا نشجّعُ كلّ مَنْ يجد في نفسه مَلَكة الكتابة والأدب ونحيّيه على عواطفه وأفكاره ونرى أنّنا نمرّ بمرحلةٍ حرجةٍ وحسّاسة تتطلّب من الجميع أن يتكاتفوا ويتضامنوا لإنقاذنا من الأزمات التي نعيشها لتحقيق مكاسب لنا جميعاً من خلال استغلال فرص هذه المرحلة العظيمة والخطيرة التي نعيشها.

ليس لدينا متسع من الوقت لنتحاور على أمور تلهينا عن التّفكير بقضايانا المصيريّة. ليس أمامنا الكثير من الوقت لنتبارز ونتفاخر على أيّنا هو الأفضل وأيّة جماعةٍ أو كتلةٍ أو منظّمةٍ منّا هي الأفضل والأكثر كفاءة وعطاء وقدرة على العطاء.

ينادينا الوطن ويدغدغ الضّمير حسّنا وفكرنا، فلينطلق كلّ منّا بحسب طاقته وقدرته على العطاء وبعد أن تهدأ الأمور وننجز ما نسعى إلى إنجازه وتحقيق ما نطمحُ إليه فليسارع مَنْ يريد ويرغب إلى تشكيل ما يحلو له من المجموعات والتّنظيمات والاتحادات وليبجّلَ بنفسه وأمجاده، ويظهر نفسه كما يشاء وكما يحلو له.

قديماً قالوا: القلم ذو تأثير فعّال كالسّلاح ذاته فإن لم يستطع الإنسانُ القتال والدّفاع بالسّلاح بإمكانه فعل ذلك بالقلم والفكر. فليقاتل كلّ منّا بحسب السّلاح الذي يمتلكه، وليدافع عن وجوده وأرضه بهذا السّلاح الفعّال.

نقطة أخرى نودّ أن نتطرّق إليها حول مسالة وهي في غالية الأهمية، ليس بالضّرورة أن يلج مجال الكتابة والتّأليف والفنّ ليظهر نفسه بل هناك مجالات أخرى بإمكانه تحقيق كلّ ما يريد من خلالها وفقاً لما يتمتّع به من مؤهّلات وإمكانيات ويتمكّن من تقديم الأفضل والأمثل له وللجميع، وقد يبرز في مجال اختصاصه بشكل يفوق تصوّره وتصوّر الآخرين.

النّقطة الثّالثة التي يُفضّل الإشارة إليها تلخص في إبراز الشّخص منّا نفسه وذاته بكلّ الإمكانيات المتاحة في الأيّام الحالكة وفي الظّروف الصّعبة التي يمرّ بها مجتمعنا وواقعنا، ويتحدّى كلّ تلك المصاعب وأصحاب النّفوذ الذين يحاولون الإساءة إليه وإلى مجتمع بشتى الطّرق والوسائل، فلا يجوز لنا أن نترك أفراد مجتمعنا في مصائبهم ونتهرّب ونخفي ذاتنا خشية إلحاق الأذى بنا. الكاتب والأديب الحقيقيّ هو الذي يظهر في أوقات الحاجة والطّلب، في الأوقات التي يتعرّض فيها مجتمعه وشعبه لشتى صنوف العذاب والتّعذيب والإساءة ويكتب عن كلّ ذلك ويظهرها للرأي العام المحليّ والعالميّ لتكون نصوصه الكتابية مرآة من خلالها يعكس ما يتعرّضون له. هنا تقفز إلى البال والخاطر بعض المواقف التي كان يتعرّض لها الكتّاب والأدباء المنتمون إلى هذا الصّنف أي صنف المناضلين بقلمهم والمخلصين بفكرهم من أبرزها:

كان عدد الكتّاب والأدباء والفنّانين قليلاً وفي بعض المناطق كانوا يعدّون على أصابع اليد الواحدة لأنّه كان هناك خوف وخشية من جهات معيّنة ولكي يحافظوا على سلامتهم وأمن عائلاتهم وأعمالهم، لذلك قلّة من النّاس كانوا يتحدون كل شيء ويضعون روحهم على كفيهم ويناضلون بقلمهم وفكرهم على الرّغم من أنّ هؤلاء كانوا يبرّرون للآخرين خوفهم وخشيتهم، لذلك كنّا نجد الجودة في الكتابة وحسن الاختيار في النّشر بالإضافة إلى التّقويم والتّقييم في الآراء ممّا يتمّ كتابته ونشره وتقبّلاً من القرّاء الذين كانوا يبدون رأيهم بمصداقية ورقيّ، وإن وجدت منافسة بين الكتّاب فكانت تهدف بالنّهاية إلى تقديم الأفضل والأكثر تأثيراً على الآخرين الذين يتلقون المواد الأدبية ويطالعونها أو يطلعون عليها.

كان الكتّاب والشّعراء والفنّانون الكرد فيما مضى من الأعوام والسّنوات يشكّلون أقليّة المجتمع ويُعتَبَرون من الفئة المضروبة على مخهم وعقلهم لأنهم يسلكون طريقاً لا تجلبُ لهم مالاً ولا جاهاً ولا مكانة اجتماعيّة وحينها كان معظم هؤلاء الطّارئين على المشهدين الأدبي والكتابيّ يضحكون عليهم ويسخرون منهم، ويتهمونهم بمحاربي طواحين الهواء وبعد هذه التّقلبات المفاجئة على الواقع الرّاهن انقلبت تلك المفاهيم أيضاً، وبات لحاملي القلم مكانة تعلو السّماوات كلّها وهذا أمور فيها الإيجابية والتّفاؤل وفيها الكثير من الاستغراب والعجب أيضاً

مرّة أخرى يجب التّأكيد على ضرورة العمل والنّضال بمختلف الوسائل لتحقيق ما فيه خير مجتمعنا وأرضنا ووطننا والمباركة لجهود كلّ المخلصين والأوفياء الذين يزدادون تواضعاً ورقيّاً كلّما ارتقوا لسماء الخلق والإبداع.

التّواضع الذي يكشف عن حقيقة الكتّاب ويفرز المجيد والمبدع منهم عن غيره من الدّاخلين إلى هذه العوالم، وهذا التّواضع هو سرّ ارتقائه وارتقاء كلّ شخص يحاول أن يبدع في أيّ مجال ويخدم الآخرين بمختلف شرائحهم وطبقاتهم سواء كان إبداعه بالمال أو القلم والفكر أو بالرّوح والدّم، وهذا هو سرّ تقدير الآخرين له واحترامهم، ومهما كان الشّخص ممتهناً لفنّ المراوغة والأنانية والانتهازية فلا بدّ أن تظهر حقيقته أمام نفسه وأمام الآخرين.

أرواح تحت الصفر: جرح متأنّق بلوعة الفراق ولذّة اللقاء

سربند حبيب

صدرت عن دار ببلومانيا المصري للنشر والتوزيع/ القاهرة رواية «أرواح تحت الصفر» للكاتبة الكردية أفين أوسو، وهي باكورة أعمالها في الرواية، الكتاب من قطع الوسط يقع في (199) صفحة.

تنسج الكاتبة من جرح وطنها رواية وتحوك على منوالها أقسى العذابات التي ذاقها الشعب طلباً لحريته، فالكاتبة هنا شاهدة حقيقية على معاناة ومأساة شعبها وهي جزء لا يتجزأ من حربها. هي رواية تندرج ضمن المنهج الواقعي، مختزلة عبر أحداثها التراجيدية معاناة عائلتين التي اتخذتها كنموذج حيّ عن دموية الحرب في سوريا.

تدور الأحداث في مداره العام حول مأساة سوريا، حيث الشابتان الجامعيتان «**جيان وأفيستا**» شخصيتان رئيسيتان تعيشان قصة حب عذرية في زمن الحرب. فجيان تعشق زنار الشاب الذي تعرفتْ عليه في مقهى الجامعة الذي كان يعمل فيه، تحبه بالرغم من عدم تكافئ علاقتهما للتفاوت في مستواهما الدراسي والثقافي، لكن الحرب تفرقهما فزنار كغيره من الشباب يلتحق بالخدمة الإجبارية ويصبح في صفوف الموتى، وجيان تهرب مع عائلتها داخلياً بعد هجوم الجماعات المسلحة على منطقتهم، وعندما تضق بهم سماء الوطن يهربون نحو المجهول عبر تركيا إلى أوروبا بحثاً عن الأمان في رحلة الموت.
فيما أفيستا ابنة ذاك الرجل الشبيح والمتنفذ الذي يتاجر بدماء الأبرياء تنعم بحياة مرفهة تعشق زميلها الجامعي شفان، الطموح الذي يكون آرائه وأفكاره مناقدة لوالدها ومناهضة ضد النظام الحاكم، وهنا تدفع أفيستا ضريبة أفعال والدها السيء واللاخلاقية حياتها، حيث تصاب بفقدان للذاكرة نتيجة قصف الجامعة أثناء تقديمها للامتحانات، فتعيش بذاكرة بيضاء إلى أن تسترجعها بفضل حبيبها شفان.

لغة الرواية جميلة ومنمّقة ترتقي في بعض الأماكن شاعرية الكاتبة المنبعثة من إحساسها الداخلي بعد أن أصبحت رقماً في سجلات اللاجئين تاركة خلفها جميع أشيائها الجميلة، فقط حقائب الذاكرة تكدس برماد لحظات جميلة فتقول: «**ازدحمت الغرف بالحقائب واجتاحت الفوضى كل أركان الفناء، قطع مرمية على الأرض تقيأت بها الحقائب لتخمتها بأكداس من الكتب وألبوم صور يحمل بين دفتيه جمال وطن قبل أن تمطره غيمة من الدماء، فتحت جيان الأدراج وقلبها ينزف، راحت تلتقط بنهم كل ما وقعت عينها عليه لتحشوه في الحقائب والأكياس وتصفهم في طابور طويل كطابور أحلامهم وهم في عمر الزهور**».

زمكانية الرواية:

الزمن في الرواية واقعي بعيد عن الخيال، ويحدث بوتيرة متسللة وواعية لذاكرة الكاتبة القريبة لسرد أحداث حدثت بالفعل، فعندما يقرأ أي سوري الكتاب سيعيش تلك اللحظات لاشعورياً؛ لأنها أصبحت جزءاً من حياته، مشاهد الحرب والدمار والقتل والهروب واللجوء...
فالمكان يبدأ في سوريا التي أصبحت ساحة حرب مفتوحة ومستنقعاً لصرف الإرهاب غير الصحي، وتتابع الأحداث بوتيرة سريعة في تركيا حيث الظلم والاستغلال وانعدام إنسانية الإنسان ومن ثم رحلة الموت والبحث عن الحياة على متن قوارب مطاطية، فإن لم تكن وليمة لأسماك البحر يكتب لك عمراً جديداً، فتلجأ إلى أوروبا حيث الأمان، لتعيش هناك جسداً بلا روح على أنقاض ذاكرتك.
كون الرواية واقعية فهي تبتعد كثيراً عن الدهشة والمفارقة وتعتمد في تتبعها للحدث بشكل مباشر، فعندما تندهش وتلامس بعض مشاهد قاسية.. أليمة وحزينة.. فجميعها حقيقية وليست من وحي خيال الكاتبة، فهي وقائع جرت بالفعل لأي سوري سواء أكان في الداخل أو في الخارج.
« **حصدت الحرب الأرواح ببذخ حد التخمة، ومنحت تأشيرة الدخول إلى الموت من أوسع أبوابه بالمجان وللجميع، اقتلعت البراعم قبل أن تتفتح، ووهبت الأمّهات لقب الثكالى بسخاء ودموع لا تنضب، قبل أسابيع كانت طبول الموت تقرع هنا في ذات المكان، وما زال صدى عويل الأطفال والنسوة يخرج من شقوق الجدران.** »

الشخوص في الرواية هي لحم ودم، عاشوا ذات الحرب وذاقوا أقسى العذابات، من الهروب والموت.. الحنين للوطن.. المجازر.. الفقد، الخيانات والتطرف الفكري والهجوم الوحشي الذي كبّدنا خسارة أرحامنا، هذه العوامل جميعها تغزو أرواحنا وتجعلنا نعيش أحداثاً تراجيدية خارج المكان داخل رواية مكتوبة بالدم السوري.
« **إنها الحرب، أبشع ما أنتجته البشرية لا ترضى أن يفلت أحد من ضحاياها دون إرث، أطفال يعيشون على هامش الحياة، دهس الآخر، ابتسامة طفولة تحت نعل الفقر، صغار يرزحون تحت طاحون الحرب الذي لا ينقطع دورانه، يفترشون الأرض على قطع كرتون، أجسادهم الغضة تلفحها أشعة الشمس الحارة، ينادون بنبرة تعكس أرواحهم المكسورة «طعميني جوعان...».**

تخلو الرواية من التنوع في أساليب السرد وأشكالها، حيث تعتمد الكاتبة على ذاكرتها القريبة في سرد الأحداث بتسلل منطقي، فهذه الأحداث جزء من وعيها السيكولوجي والاجتماعي والثقافي، والتي تمثل الواقع جمالياً بالرغم من قبحه، وكذلك تنعدم التنقلات في الرواية، فقد اعتمدت الكاتبة على جيان وأفيستا، الشخصيتين المحوريتين، لتروي لنا الحدث السوري من منظورها بوصفهما نموذجان لضحايا هذه الحرب.

تنتهي الرواية بنهاية سعيدة مفتوحة، بوصول جيان مع عائلتها بأعجوبة إلى ضفة الأمان، بعد صراعهم مع الموت في خضم البحر، أما أفيستا فبعد إنقاذها من قبل شفان تقرر البقاء معه وأن تحافظ على حبها نقياً بعد موت أحلام شفان الثورية، لكن الحب يبقى منتصراً بالرغم من الموت والدم: «**ليسقط العالم تحت نعال الحب، ولتحترق السياسة والساسة والأحزاب بعقد قراننا، احتويني فأنا أهرب من الحرب، لأدلف تحت جناحيك، عارياً من الحماقات وخاوياً من الهتافات**».

رواية حزينة تستحق القراءة، ولكنها تحتاج لقلب قوي ليتحمل القارئ مشقة ذاك الكم الهائل من الحزن الدفين بين طياتها، إنها رواية الفاجعة؛ جسدت ملحمة الحرب والثورة التي أحدثت قدراً هائلاً من الدمار والخراب وهجرت أعداداً مهولة من الشعب السوري، نعم إنها الحرب تستيقظ فينا أجمل وأقبح الصور التراجيدية عندما يغدو الوطن حكاية ترويها أفين أوسو بلسان الوجع والألم، محاولة بذلك ترميم الخراب وحفظ ذاكرتها عبر تدوين وتوثيق مشاهد حقيقية بكل فواجعه ومآسيه ومدى تأثيرها على نفوسنا واستقراء ما يدور بداخلنا.

مقتطفات من الرواية

- إنها الحرب، أبشع ما أنتجته البشرية. الصفحة (45).
- أبشع أنواع الحرب ألا تعرف مَن عدوّك. الصفحة (78).
- الجشع أعمى بصيرة الشعوب أجمعين. الصفحة (91).
- نحن في زمن لو أستطيع أن أمرّر الهواء الذي أستنشقه بمصفاة لفعلت. الصفحة (88).
- أن تكون نازحاً يعني أن تخفض رأس كرامتك، وتبقي روحك لقمة سائغة. الصفحة (102).
- الإساءة للمشاعر لا يحاسب عليها القانون، إنما الأقدار. الصفحة (121).
- لكلّ جندي قصّة حبّ وقصّة حرب، وكلاهما يشقى عليه حملهما في قلبه. الصفحة (165).
- الماء الذي تسبّب في إغمائها يتدخّل ليعيد وعيها. الصفحة (187).
- الرابح الوحيد في الموت هو بائع الأكفان وحفّار القبور، لكن الحرب السورية قلبت الموازين، إذ لا شبيه لضراوتها، قبورنا بلا شواهد وموتانا من غير شهادات وفاة. الصفحة (196).
- نحن مخلّفات الحرب. الصفحة (197).

رواسب البن

الجميلات هن القويات

خديجة بلوش

هي لا تضع أحمر الشفاه ولا ترسم ظلاً لعينيها الصغيرتين لمنحهما شساعة بحيرة غامضة, لا ترتدي ثوباً يلائم نظرة العابرين ويضيق بأنفاسها المرهقة، لا تبتسم في وجه عابس يمر بها, لتساهم في نشر الفرح, تقول لنفسها: «سأبتسم لي داخلي كي أشعر بالرضا ولمن حولي حرية القرار, فليسعدوا بما لديهم أو فليصمتوا».
هي لا تكثر من الثرثرة على رصيف الانتظار, لا تسابق ظلها المائل في الصعود إلى رحلة تأخذها صوب البعيد ولا خيال قد يقنعها أن كل المحطات تزخر بينابيع الدهشة.
هي فقط تشد على نبضها كي لا يسقط في غفلة منها في زحام الحياة, لا تملك إلا هذا النبض المثقل بالحنين, وتصر في كل مرة ينتابه التعب أن تراوغ الصمت الذي يتربص بها في الزوايا المظلمة, تفتح لروحها كل النوافذ كي تشع ويكتسي الضياء أروقة النجاة.
تقول لنفسها في وقوفها المتكرر أمام انعكاس صورتها: «أنا قوية بي ومن أجلي, أنا أستحق الحياة الجميلة كي أكون جميلة».
وفي لحظات الضعف تمنح نفسها دفعة حانية «رافقي العصافير في رحلتها الآنية, كوني كما زهرة تنفض عنها جمود الشتاء»، وتركض صوب شمس دافئة «وامنحي الطفلة فيك لحظة تزيح فيها عن قلبها سطوة القيود, واركضي كما يفعل الصوت, وحين يغادرك الصبر لا تفشلي, لا ترضخي للنحيب, اصرخي وأطلقي العنان لصوتك, كوني مثل طلقة طائشة, واقفزي عالياً فوق كل الأسوار, واركلي الحواجز الغاشمة.
لا تكترثي إن وصفوك بالفاشلة، أخبريهم ببساطة أن لا نجاح يأتي إلا رسوب وأن الفشل من علامات الصمود.
اخبريهم أنك تفضلين فشلاً يأتي بعد محاولات عميقة من نجاح يأتي دون جهد يذكر.
أنت قوية بك أنت فقط, ولا فضل لأحد عليك سواك.
تذكري دائماً أن تسعدي نفسك, ولا تنتظري لحظة إحسان من أحد.
غامري بكل ما لديك, والخسارة لن تكون صادمة إن حدثت, ستكون لك دهشة الفوز, ولن تندمي.
احلمي قدر ما شئت, فليس للحلم حدود ولا يحتاج لتأشيرة أو رخصة.
اعتنقيه وناضلي ليصير حقيقة.
انبذي الآمال فإنها مضيعة للوقت, تأخذك كالسراب بين فكيها وتقذف بك إلى متاهات اللاوجود، تسحب من شرايينك كل ذرة قوة، وتنشرك على قارعة الفراغ. الأمل كذبة كبرى, مثل الذي يقتله الظمأ, يغرف من البحر, كل ظنه أنه يروي عطشه ولا يدرك أنه يروي الموت الذي يقتص منه رويداً رويداً.
كوني قوية، وامنحي لنفسك فرصة للحياة كما تشتهين أنت لا كما يريد محيطك، وتذكري أن الريشة بين أناملك وأنت من تحددين ما ترسمين بها، وأنت وحدك تملكين خيار اختيار اللون الذي يناسبك.
لا تتركي السنوات تأخذ منك شغفك, واصقلي هوايات روحك وامتنعي عن الانسياق وراء كل ما يقولون عنك.
أنت القوية, أنت الجميلة, أنت المبدعة.
أنت من تحددين موقع خطواتك المقبلة.
أنت فوق الألم, فوق البكاء.
سخري ألمك ليكون قوة والبكاء ليسقي حقول صبرك, ولتزهري فوق كل الظنون,
كوني أغنية, لحنا جميلاً، صوتاً يكون بوصلتك للوصول إلى حلمك, غادري القوقعة التي يصرون على إبقائك داخلها, أنت أقوى وأقوى وأقوى, وأنت بكل الصفات التي تملكين.. جميلة».

لأنك خصلة عنب معتّقة

أفين أوسو

أنقبُ في منجمِ كفّي
عن عطرٍ اندسَّ خلسةً لوريدي الراعشِ حنيناً إليك
عن حُلمٍ راودَ أنفاسَك لمَسرى خُطا تيهي.
يا أنايَ
يا بنَ هذه الروحِ الكليمِ
المنفيّةِ بخَطايَاك
كُفَّ عن اغتيالي
فُتاتاً مُتمرّغاً باعترافي وولهي
ما أنا إلا سرابُ نبضٍ أفتّشُ عن تكويني
أرنو إلى وجهِك كيف يذوي ويغفو على أرجوحةِ الصباح
أيقظْني من سكرةِ خيالاتي
عندَما تناديني: يا شبيهةَ الروح
أتوهُ ويتلعثمُ الهذيانُ في يساري.
أنا أصابعُ خجولةٌ على أوتارِ قيثارةٍ صدئةٍ مفاتيحها
أنا فاجعةُ الخطايا، كما الحبُّ يا خطيئتي
وأنت رُفاةُ قفلٍ قديمٍ يرقدُ على عتبةِ النسيان
حارثُ قصرٍ من الذاكرة هجرَه ساكنوه
لتترقّبَ الغبارَ...
أنت تَرِكاتُ موتى وجدانِك
رحلوا عنه
وأورثوني فردوسَك البهيّ.

على مقام سبا

لا شيء سوى المرارة سيدي الرئيس

جان بابيير / النمسا

لا شيء يستحق الركض من أجله، فقط أن نعيش بتلقائية، لا تستطيع سيدي أن تبني من الغبار قصة ولا من العشب عشاً للقصيدة، كل ما تفعله هباء وأخبارك من وراء الشاشات من قبيل استقبل وودع لا تعني لنا شيئاً بقدر ما تبني رصيفاً ليفصل خطواتنا عن الشارع، فقط أنك تجري وراء سراب من الظمأ، لنسمع في النهاية لأحلامنا ثغاء الماعز، مراراً وتكراراً مارست حياتنا الثغاء والجفاء، دون أن ندنو من نبع ماء، صاعداً أيها الرئيس تحمل سنين عمرك على ظهرك كالحدبة، تسقي أوقاتنا من القيظ بزركشة العرق، وتنحر أمنياتنا في الصعود، ماذا ستجني أيها الفارّ من سعادتك؟ كمن يفر من الوباء سعادتك ما تملك وليس ما تود الوصول إليه، جدلاً أن كنت تتزين بالألوان والأوسمة تعتقد أنك ملك على العرش تملك كل شيء لكنك وحيد وخائف محروم أقل من أي فقير لم تتبضع من سوق شعبي جاكيت من الباليه، لم تجرب يوماً أن تشتري كيلو بندورة، أو أن تدخل في حفلة سهر اشتراكية كل من في الثلة يتقاسمون المبلغ لشراء قنينة عرق. هل جربت أن تسير مشياً على الأقدام حتى موقف الحافلات؟ أو أن توفر حق تذكرة فيلم سينمائي؟

لا سيدي، أنت فقير حتى وإن جلبت صالة السينما إلى قصرك الذي لا تعرف حجم مساحته، اعترف أنك وحيد أكثر من الوحدة، لا تصدق أنهم يصفقون لك بل يصفقون عليك مثل كادح صبور لم تجرِ خلف الرغيف، لم تقف يوماً كعامل وراء آلة في مصنع إلا للتصوير ليتناقلوا صورتك الباهتة التمثيلية في الإعلام، ستبقى صغيراً سيدي وقزماً لا ترى حتى وإن استخدمنا المايكروسكوب والتيلسكوب معاً، هل جربت يوماً أن تستدين بخجل علبة دخان من جارك السمان ليصل قلبك الصغير أمام مرمى الريح؟ هل قصدك جار ليقترض منك مبلغاً ليسعف زوجته الحامل ومن ضيق الحال لم تلبِّ الطلب فتمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعك، أو أن تقف بذل أمام موظف وضيع أنجبته من أنفك يطلب منك رشوة لأية ورقة تخص الأحوال المدنية، هل وصلتك رسالة قصيرة من أحد الفروع الأمنية ولم تنم تلك الليلة وقرع قلبك كدونكزا إفريقي لا تدري حين مراجعتهم هل ستعود إلى البيت أم لن تعود؟ لم تعش كل هذا الألم ولم تقف يوماً في طابور الفرن لتحصل على ربطة خبز، ولم تقف أمام باب المدرسة تنتظر حبيبة صغيرة، لذا لن تعرف الحب يوماً فأنت مجبول بالطغيان تبقى تلح في إقامة الأسوار والسجون بحجة حماية الوطن لتحجبنا عنك ولتخفيك عن عيوننا المتربصة بك، المفتاح لم يزر بابنا، لا شيء في الداخل يستدعي للسرقة فأحلام الفقراء لا قيمة لها، نحن ننام صيفاً على الأسطح ولم تعش هذه المتعة لمراقبة النجوم.

أسألك: متى شاهدت القمر آخر مرة؟ ولا تعرف الفرح في دبكة عرس شعبي وأغاني المطربين التي تلهب المشاعر والخطوات للرقص معزوفة في خيمة النزوح نحو الروح وصعودها إلى جلجلة النشوة، درجت العادة أن يختاروا لك ألوان الأطقم وعطور الكلام في الخطابات الجوفاء، لم تمسك يوماً بيد عجوز لمساعدتها لصعود حافلة لإنجاب السعادة من حيض البر والتقوى، ماذا تعني لنا طائرات السيخوي والقصف، جعبة الوطن حبلى بأشياء كثيرة تجهلها بين كل شيء هناك شيء تجهله!!

بجرة قلم أصبحت الرئيس فاختلف تاريخ الولادات والوفيات وظهرت معك مصطلحات جديدة كان يجهلها المواطن من تشبيح وطائفية وأسلحة محرمة، أصبحت بومة تنعق على أطلال وطن تنشد الخراب.

أي نشيد وطني سيعزف عند موتك الوطن المقسوم أم الوطن الملحق؟ في الوداع تطردنا من وجوه المحبين وتكدست ذاكرتنا في حقائب اللجوء، من سيوقف سخطنا

بعد أن قلنا في وجهك سيدي الرئيس أنت جلاد؟

لكن للمرة الأخيرة أسألك هل سرقت تفاحة اشتهيتها من بستان مثلما قال صديقي منذر وطاردك الناطور بالشتائم؟

سيدي: أنت سرقت الوطن كله.

هيئة الاستشارية:
جان بابير
نارين عمر

هيئة التحرير:
سربند حبيب
رشيد جمال

محرّرون:
فاتن حمودي
سلمى جمو

Siba

أحمد ظاهر

ولد الفنان التشكيلي أحمد ظاهر عام 1967م في مدينة الرقة السورية.

محامي وفنان تشكيلي وشاعر وكاتب.

إضافة لدراسة القانون درس الفن التشكيلي في مركز الفنون التشكيلية في مدينته الرقة.

اشترك في عدة معارض جماعية في سوريا في التسعينات من القرن الماضي، أقام معرضاً فردياً في اليونان بالعاصمة أثينا عام 2019م.

له عشرات اللوحات التي طافت العالم وتم اقتناؤها في أوروبا وأمريكا وآسيا، أقام عدة ورشات عمل في اليونان كمتطوع مع منظمات تهتم بالفنون التي يقدمها اللاجئون في اليونان.

شارك في عدة ورشات للدعم النفسي عن طريق الرسم للأطفال اللاجئين وضحايا الحروب.

يقيم حالياً في أثينا اليونان ومستمر في مسيرته الفنية والأدبية.

كشاعر له مجموعة شعرية مطبوعة بعنوان غزالة الماء، صادرة عن دار الظاهرية في الكويت.

كما له عمل روائي بعنوان (حرّاس الغيم)، لم يطبع بعد، ومجموعة شعرية باللهجة الفراتية قيد الطبع.

مهتم بالتراث الفراتي الذي يبرز من خلال أعماله التشكيلية، ومتأثر بالمدرسة الانطباعية الواقعية والمدرسة التعبيرية.

يؤمن أحمد ظاهر بأن الحب محرك الإبداع وأن السلام بين الشعوب هو رسالة الفن وأن الفن لغة ووسيلة مثلى للتلاقي بين الحضارات على اختلاف الثقافات والأديان.